168689 ـ أصيب بالوسواس بعد توبته من المعاصي ويخشى من الهلاك بسببه

السؤال

بعد أن كنت في ضلال ، لا أصلي ، فقد تركت الصلاة منذ زمن ، ولا أفكر بآخرتي ، وأفعل المعاصي ، قررت أن أتوب لله وأرجع أصلي ، وأكثر من عمل الخير لأكون من الناجين ... ولكن من يوم أن تبت ، بدأت الدنيا تغلق كل أبوابها في وجهي ، فقد بدأت عندي الوسوسة في الصلاة ، فقد كنت أقطع الصلاة مرارا وتكرارا ، وأعيدها ، وبعد أن تخلصت من هذا النوع من الوسوسة بقوة الإرادة جاءني وسواس الوضوء ، فقد كنت أعيد الوضوء مرات عديدة ، ومن ثم جاءتني الوسوسة في الطهارة ، فقد أصبحت أشك في طهارة كل شيء ، وكنت أبدل ملابسي عدة مرات ، وتراني أمسك منديلا وأمسح أيدي الأبواب (كالمجنون) ، وبحمد الله كل هذه الوساوس كدت أن أتخلص منها ، إلا أنه بقي عندي وسواس الطهارة ، وأنا الآن أتخلص منه ، وقريبا سيتم القضاء عليه نهائيا ، إن شاء الله . والآن من جديد سمعت أن من سب الله أو الدين أو الرسول يعد كافرا ، وبما أن المجتمع الذي أعيش فيه ، غير ملتزم نوعا ما فقد أكون قد رددت هذه الكلمة عدة مرات بقصد أو بدون قصد ، فأنا أتذكر أني سببت الله عن غير قصد في إحدى المرات ، وأتذكر أيضا أني سببت عن قصد وأنا على الشات بالنت ، فقد كتبت الكلمة ، وأنا الآن حتى هذه اللحظة ، أتخيل ، وتأتي وساوس تقول لي بأن لا حاجة لأن أصلي وأتعب نفسي في فعل الخير ، فانا غير مسلم أصلا ، ومن هذا النوع ،،، بصراحة أنا لم أعد أطيق حياتي ويئست ،،، ماذا افعل ؟ ساعدوني ، أرشدوني ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

من الجيد أن تعلم ـ أيها السائل الكريم ـ أن مشكلتك الحقيقية هي في ذلك الداء النفسي الذي ألم بك ، داء الوسواس القهري ، وهو داء إذا استحكم من العبد ، عياذا بالله ، أوشك أن يفسد عليه دينه ودنياه ، ولذلك كان من توفيق الله لك أن انتبهت إلى خطره عليك ، وشرعت في علاجه .

وإن من أعظم أسباب علاج هذا الداء ألا تلتف إليه ، وتمضي في عبادتك على وجه الصحة ، دون اعتبار إلى ما يأتيك فيها من وساوس .

وقد سبق التنبيه على الوسواس وطرق علاجه في جواب السؤال رقم (102851)، وأجوبة أخرى عديدة .

ولتعلم أن ما تتوهمه من أنه لا فائدة من عبادتك ، وصلاتك ، ونحو ذلك : لتعلم أن ذلك هو نهاية الطريق الذي يريد عدو الله أن يصل بك إليه ، فيفتح عليك باب الوساوس والتشكك في كل شيء ، ومقصوده ليس إقامة عبادتك ، ولا تصحيحها ، إنما مقصوده أن يصعبها عليك حتى تتركها ، أو يوهمك أنه لا فائدة منها بالكلية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولذلك كان تاريخ صراع عدو الله معك : (من يوم أن تبت) ، كما ذكرت في سؤالك !! فماذا يفعل بك اللعين ، أو يرجو منك قبل

توبتك ، وقد تركت صلاتك ؟!! فإن " البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق ؛ ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما : إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها ؟! فقال : وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب ؟! " . انتهى من "الوابل الصيب" ، لابن القيم (30) .

والواجب عليك ، كما سبق ، ألا تلتفت إلى شيء من هذه الوساوس ، في إيمانك ، وعباداتك .

والأمر العجيب أن وسوسة عدو الله تتمكن من العبد حتى يغفل بها عن الأمور البديهية ، والبديهية جدا ؛ فإذا افترضنا جدلا أنك قد وقعت في شيء من أعمال الشرك ، أو الأقوال المخرجة من دين الإسلام : كسب الله ، أو سب رسوله ، أو ما أشبه ذلك والعياذ بالله ؛ نفترض جدلا أنك قد وقعت في شيء من ذلك على وجه القطع واليقين ؛ فليس هذا هو نهاية الطريق ولا خاتمة المطاف ، حتى وإن كان كفرا بالله جل جلاله ؛ فالكفر ليس وصفا ملازما لصاحبه على وجه الدوام ، بل هو وصف وقع عليه بسبب أقواله وأعماله ؛ فمن شاء النجاة منه ، فليتب مما فات ، وليترك الكفر وأسبابه فيما هو آت !!

لقد كان الحل الأسهل لك ، والأسرع : أن تتوب إلى الله مما وقعت فيه من الأقوال والأعمال التي تغضبه ، سواء كانت كفرا ، أو ما دون ذلك ؛ فهذا هو التصرف المنطقي الوحيد ، أما أن توهم نفسك أنه لا فائدة في أعمالك وصلواتك ، فأي شيء يريد منك عدو الله أكثر من ذلك ، هذا هو غاية مراده منك .

هذا ، كما قلنا ، على افتراض أنك قد وقعت في هذه الأعمال والأقوال ، على وجه القطع واليقين ، وليس مجرد وساوس . ثم إنه حكمها لا يثبت على صاحبها أيضا إذا كان قد وقع فيها على وجه القطع واليقين ، لكنه حين وقوعه فيها كان مغلوبا على عقله ، بنوم ، أو وسواس قهري ، أو إكراه ملجئ ، أو نحو ذلك . فحتى يثبت حكمها : لا بد أن يكون صاحبها قد وقع فيها وهو يعقل ما يقول ، ويختاره .

فدع عنك ما بقي عليك من وساوسك ، يا عبد الله ، جملة واحدة ، وأقبل على الله تعالى بقلبك وعملك ، وتب إليه من ذنبك كله ، دِقِّه وجُلِّه .

والله يتوب علينا وعليك ، ويهدينا وإياك إلى سواء السبيل .

والله أعلم .